المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثالث والاربعين

١ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩١٣ — الموافق ٣ محرم سنة ١٣٣١

الفرد رسل ولس

ALFRED RUSSEL WALLACE

يموت كل سنة اكثر من خمسين مليوناً من النفوس ولكن تمضي السنة والسنتان والسنوات قبلما يموت رجل يذكر على ممر الايام والاعوام . الرجال الذين يتركون لهم اثراً بيّناً في علوم الناس ومعارفهم فيحفظ التاريخ اسمهم وتتداوله الالسنة في كل زمان قليل عددهم . فمنهم افلاطون وارسطوطاليس وابقراط وبطليموس وابن سينا وابن رشد واسحق نيوتن وباستور وداروين ورصيفهُ الدكتور الفرد رسل ولس الذي تُوفي حديثاً

لداروين وولس اثر بيّن في كل علوم الناس في هذا العصر فلسفيةً كانت او ادبية او طبيعيةً . وفي كل اعمالهم زراعية كانت او صناعية او تجارية . وفي الامارة على اختلاف فروعها . فان افكار الناس اتجهت الى النشوء والجهاد لاجل البقاء و بقاء الاصلح من حين نشر داروين كتابهُ اصل الانواع و بيّن هو وولس الاسباب الطبيعيةَ التي دعت الى نشوء انواع النبات والحيوان بعضها من بعض فانهم وجدوا ان كل تنوُّع وارتقاء في اعمال الناس والطبيعة ناشئ عن اسباب مثل الاسباب التي ذكرها داروين وولس ولو كانت ثانوية

وقد امتاز ولس على داروين بانهُ لم يقف عند حد الاسباب الطبيعية لنشوء الانواع بعضها من بعض بل قال بقوة وراءها تديرها ولاسيما في نشوء الانسان اي انهُ قال بشيء لم ينفهِ داروين ولا تعرَّض لهُ فقال في كتابهِ عالم الحياة الذي نشرهُ سنة ١٩١٠ وعمرهُ ٨٨ سنة ان كثرة التركيب في اجسام الاحياء يستلزم اولاً وجود قوة خالقة . ثانياً وجود عقل مدبر ثالثاً وجود غاية خلقت لاجلها الاحياء وهي ان تتصل في ارتقائها الى الانسان غايتها الذي هو

غاية كل اعمال النشوء في الكون . لكنهُ لم يتم ادلة عملية على اثبات بعض النتائج التي استنتجها ولعل الوصول الى هذه الادلة مقدور لابناء العصر التالي ولو تعذر على ابناء هذا العصر

ولد ولس في ٨ يناير سنة ١٨٢٣ وكان لهُ اخ اكبر منهُ صناعتهُ الهندسة والبناء فجعل يساعدهُ بعد خروجهِ من المدرسة واضطر ان يجول في اماكن كثيرة ويراقب احوال الناس فرأى من ذلك الحين ان الاصلح للامة ان تكون الاراضي للحكومة لا لافراد من الاهالي كما هي الحال في بلاد الانكليز . وكان ذلك اساس الكتاب الذي نشرهُ سنة ١٨٨٢ في هذا الموضوع واعادهُ في كتاب آخر نشرهُ منذ شهرين . وكان اخوهُ من المشطرفين في آرائهم الفلسفية فاستفاد منهُ طرح القيود التقليدية التي تمنع حرية البحث وصار لا يرى غير المادة ونواميسها . ولعل ذلك كان من اكبر الاسباب التي جعلتهُ يبحث عن الفواعل الطبيعية لما يرى بين انواع النبات والحيوان من الاختلاف وبين اصنافها من التباين ولكن قادهُ البحث اخيراً الى الاقتناع بوجود قوة اخرى مديرة وراء الفواعل الطبيعية وهذه الفواعل خاضعة لها ولو عجز العلم عن اكتشافها كما يرى من كتابهِ في العجائب ومناجاة الارواح الذي الفهُ سنة ١٨٨١ وبعض الكتب التي تلتهُ من قلمهِ

واهتمَّ في صغرهِ بالتاريخ الطبيعي اي بعلمي النبات والحيوان فجمع مجموعة من النباتات وتعرَّف بالمستر باتس الطبيعي وسافر معهُ الى اميركا الجنوبية ليجمعا منها امثلة عمَّا يرياهُ فيها من انواع الحيوان والنبات وعاد من هناك بعد اربع سنوات ونشر كتاباً وصف فيهِ رحلتهُ وما رآهُ . واتبعهُ بكُتيِّب في اشجار النخل التي شاهدها في الامازون وكان ذلك سنة ١٨٥٣

وذهب في السنة التالية الى جزائر ملقا في الشرق الاقصى واقام في هذه الرحلة ثماني سنوات سار فيها اربعة عشر الف ميل وزار جزائر صومطرى وجاوى وبورنيو وسلابس وملوكاس وتيمور وغينيا الجديدة وجمع منها اكثر من ١٢٥٠٠٠ مثال تحوي ٨٠٠٠ من الطيور و ٩٦٠٠٠ من الفراش و ١٣٠٠٠ من انواع اخرى من الحشرات . ورتَّب هذه الامثلة ووصفها والَّف فيها كتاباً كبيراً سبق مجلدين طبع سنة ١٨٦٩ . وبنى عليها كتباً اخرى مثل تفرق الحيوانات الجغرافي والحياة في الجزائر

وتعرَّف بداروين سنة ١٨٥٤ وكان داروين قد انتبه الى فعل الانتخاب الطبيعي وتأثيرهِ في النبات والحيوان منذ سنة ١٨٤٢ وكتب رسالة في ذلك اطلع عليها العالمين الكبيرين السر تشارلس ليل والسر جوزف هوكر سنة ١٨٤٤ ولكن لا يظهر انهُ تكلم في هذا الموضوع مع احد آخر

ونشر ولس مقالة في سجل التاريخ الطبيعي سنة ١٨٥٥ موضوعها « الناموس الذي بموجبه تتولد الانواع الجديدة » ثم كتب الى دارون في هذا الشأن فلم يجبهُ دارون بما يشير الى فعل هذا الناموس . وارسل الى دارون سنة ١٨٥٨ مقالة موضوعها ميل التنوعات الى الابتعاد عن الاصل الذي تفرعت منهُ ضمنها زبدة المذهب الداروني فذهل دارون وبعث بها الى ليَل وكتب اليهِ يقول بعث اليَّ ولس بهذه المقالة وطلب مني ان ارسلها اليك وهي تستحق ان تُقرأ ولقد اصبتَ بي ما قلتهُ لي وهو اني لم انشر آرائي في فعل الانتخاب الطبيعي سبقني اليها غيري فانظر الى هذا الاتفاق الغريب فانهُ لو اطلع ولس على ما كتبتهُ منذ سنة ١٨٤٢ وخلصهُ ما كان تلخيصهُ لهُ ادل على مرادي من هذه المقالة التي بعث بها الآن

ثم تليت مقالة ولس ومقالة كتبها دارون ضمنها خلاصة مذهبهِ في جمعية ليننوس الطبيعية في وقت واحد . واعترف ولس بعد ذلك بسبق دارون لهُ في هذا المضمار فنُسب المذهب الى دارون لا اليهِ حتى انهُ لما الَّف كتاباً في هذا المذهب خاصةً سنة ١٨٨٩ جعل موضوعهُ الداروننزم اي الداروية

وفي صيف سنة ١٩٠٨ حينما تمت خمسون سنة على اعلان المذهب الداروني عيَّدت الجمعية الليننوسية عيداً حافلاً تذكاراً لذلك حضرهُ مشاهير علماء الارض وصنعت نشانا رسمت على احد جانبيهِ صورة رأس دارون وعلى الآخر صورة رأس ولس واهدتهُ الى ولس والى السر جوزف هوكر والاستاذ ارنست هيكل والاستاذ ادورد ستراسبرجر والاستاذ اوغسط ويسمن والسر فرنسيس غلتون والسر راي لنكستر . والنشان الذي اهدي الى ولس كان من الذهب والنياشين التي اهديت الى غيرهِ كانت من الفضة . وخطب رئيس الجمعية الدكتور سكوت مرحباً بالحضور فاجابهُ ولس مشيراً الى العلاقة التي كانت بينهُ وبين دارون وعن نصيب كلٍّ منهما من مذهب النشوء او الانتخاب الطبيعي و بيَّن ان هذه الفكرة اي فكرة الانتخاب الطبيعي خطرت على بال دارون قبلما خطرت على بالهِ بعشرين سنة وانها خطرت على بال الاثنين لانهما كانا كلاهما يبحثان على اسلوب واحد . ففي صباها كانا يهتمان بجمع الحشرات ولذلك اضطرا ان يريا ما بينها من الاختلاف وان يبحثا عن سبب ذلك ثم لما كبرا عكفا كلاهما على السياحة وجمع الامثلة الطبيعية ومراقبة احوالها وذلك في اغنى بلدان الدنيا بالحيوانات والنباتات فلم يكن لهما بدٌّ من مراقبة تأثير الاقليم في تلك الاحياء واختلافها باختلاف اماكنها ونحو ذلك من الامور المتعلقة بها واخيراً لما كان عقلاهما قد أُفعما بهذه المعلومات وبما فيها من الغرائب التي يصعب حلها اتجَّه فكراهما الى الاسلوب الذي اوضحهُ

ملثوس لمنع زيادة السكان فكان ذلك بثابة الفرك على عيدان الفصفور فاظهر منها نوراً هداها الى الناموس البسيط الشامل لكل ما في الكون ناموس بقاء الاصلح الذي هو السبب الفعّال لدوام التغيير والتطبيق بين الاحياء كلها

وقد استوفينا الكلام على ذلك في مقتطف اغسطس سنة ١٩٠٨

وداروين وولس لم يكتفيا بالقول ان انواع النبات والحيوان متفرع بعضها من بعض ولو اكتفيا بذلك لما كان لقولها قيمة علمية ولكنهما جمعا ادلة لا تحصى على صحة هذا القول ولهذا السبب لا لغير نُسب مذهب النشوء اليهما لا الى غيرهما وتنازل ولس عن التسمية فخصت بداروين . ولذلك فان ارسطو او افلاطون او القزويني او الدميري او غيرهم من العلماء الاقدمين قد ذهبوا الى ان انواع النبات والحيوان متفرع بعضها من بعض ولم يعززوا ذلك بالادلة الكثيرة فلا قيمة لقولهم بل يكون من جملة الخواطر التي تخطر على بال الناس دواماً

ولولس فضل آخر في انهُ الواضع والمفصّل لعلم آخر وهو علم تفرّق الحيوان الجغرافي الذي اوضحهُ في كتابيهِ تفرق الحيوان الجغرافي والحياة في الجزائر

لكنهُ لم يخرّج في صغره تخرّجاً فلسفيًّا ولا علميًّا ولا عُني بالتجارب الفسيولوجية ولذلك ذهب في احد كتبهِ الاخيرة المعنون « بالقرن العجيب » الى ضرر التطعيم الواقي من الجدري وقال انهُ غير واقٍ منهُ والى صحة القراسة ومناجاة الارواح وعزز اخيراً قول القائلين ان الارض هي مركز الكون ولا سكان في غيرها

وألف كتباً كثيرة فلهُ غير ما ذكر . الانتخاب الطبيعي . الطبيعة الاستوائية . استوالازيا . جعل الارض للائمة . ايام العسر . التطعيم تضليل . دروس علمية واجتماعية . مقام الانسان في الكون . ترجمة حياتهِ . هل المريخ مأهول . ملاحظات نباتي . ومقالات كثيرة في الجرائد والمجلات

وقد نال وسامات علمية كثيرة ومنح وسام الاستحقاق سنة ١٩٠٨ وهو اعظم وسام عند الانكليز لا يعطاهُ الاَّ اعاظم رجالهم . وقطعت لهُ الحكومة الانكليزية منذ سنة ١٨٨١ مئتي جنيه في السنة معاشاً كما فعلت لاكبر علمائها الذين ليس لهم ثروة تكفيهم في شيخوختهم . وكانت وفاتهُ في السابع من نوفمبر